مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 8 / العـدد: 01 (2020)، ص ..- ..

إشكالية المركز والهامش في الخطاب الغربي: الدوافع والبدائل

The problem of status and margin in western discourse Motives and alternatives

عباس مخلوف [1]، د.عبد السلام بوزبرة [2]

[1] جامعة المسيلة (الجزائر)، makhlouf.abbes@univ-msila.dz

[2] جامعة المسيلة (الجزائر)، abdeslem.bouzabra@univ-msila.dz

تاريخ الاستلام: ../../2021 تاريخ القبول: ../../2021 تاريخ النشر: ../../2021

ملخص:

لقد تعددت الخطابات الغربية التي سعت إلى ترسيخ صورتها في العالم على مر التاريخ وفق تقولبات مرحلية وسياقات مصلحية هدفها صناعة الإنسان الغربي المتفرد ،و بناءا على ذلك برزت مع هذه الدعوة نزعة التمركز حول الذات على اعتبار أن الغربي هو صانع الحضارة والتاريخ والقيم والمحدد لوجهة العالم المستقبلية ، برؤية استعلائية غايتها تثبيت إرادة الهيمنة والنزوع نحو الاحتواء والسيطرة على الآخر المخالف ،وأي رفض أو تحفظ على هذه الأيديولوجيا القصرية سيكون الآخر تحت سلطة التهديد والترهيب بمنطق القوة المرادف لإرادة التسلط الراسخة في صميم النظام العالمي الجديد في ظل مخطط إعلامي عالمي يساهم في تثبيت أيديولوجيا التمركز وإرادة التسلط ،هذا ما دعانا في بحثنا لمحاولة تسليط الضوء على هذه الإرادة التسلطية في الخطاب الغربي بإعطاء لمحة حول منطق الهيمنة في التوجهات العامة للأيديولوجيا الغربية، لنعرج إلى البدائل المتاحة لهذه الرؤية التي تنظر إلى الآخر بعين حضارية واحدة تأبى التعدد، بل تفرض المنطق الواحدي في فهم الإنسان والعالم والطبيعة.

كلمات مفتاحية: : إرادة الهيمنة ، خطاب التمركز الغربي ،الصدام الحضاري ، البدائل الحضارية.

Abstract:

The Western discourses, which have sought to establish their image in the world throughout history according to interim statements and contexts of interest sought by the unique Western man industry, and accordingly, have

emerged with this call the tendency to center around the self, considering that the West is the maker of civilization, history, values and the determinant of the future direction of the world, with a vision of a sense of urgency aimed at establishing the will of hegemony and the tendency towards containment and control of the other, and any rejection or reservation of this minor ideology will be the other under threat and intimidation by the logic of power synonymous with the same power. The authoritarianism at the heart of the new world order, under a global media apparatus and scheme that contributes to the stabilization of the ideology of concentration and the will of authoritarianism, is why in this research we try to highlight this authoritarian will in western discourse by giving a glimpse of the logic of hegemony in the general orientations of Western ideology, to turn to the alternatives available to this vision, which looks at the other with one civilized eye that rejects pluralism, but imposes one logic in understanding man, the world and nature

.**Keywords:** The Will of Domination, Western Centralization Discourse, Civilizational Clash, Civilized Alternatives

المؤلف المرسل: عباس مخلوف .

1. مقدمة:

إن نزوع الإنسان نحو التسلط ، إنما هو وليد طبيعته الوجودية ، فهذه الإرادة نحو السيطرة والتنفذ ناجمة عن حب التفوق والتميز على المغاير وجعله تابعا له. من هذا المنطلق ظهرت هذه النزعة في الفكر الغربي، ووجدت طريقها نحو التجسد بعد عصر النهضة وبدايات العصر الحديث ،حيث رسم الغربي صورته في مخيال الآخر بتفوقه العلمي والتقني وبتنظيمه السياسي والثقافي مقارنة بنظائراته في المراحل الحاضرة أو السابقة . ووفق هذا المبدأ فإن فكرة تمجيد الذات والتسلط على الآخر المغاير في الأيديولوجيا الغربية أصبح أمرا طبيعيا تفرضه الضرورة الواقعية والتاريخية ، لتكون بذلك أحد أبرز تجليات خطاب التمركز الغربي في ظل منهج الوحدة والاستمرارية حسب الدكتور عبد الله إبراهيم في كتابه" المركزية الغربية إشكالية التكون والتمركز " ،حيث يسعى الغرب من خلال هذا المنهج لاستصدار تلك الفكرة التي تمنحه شرعية السيطرة على العالم، على اعتبار أن منطق التاريخ خاضع لقوانين ثابتة تسيير باتجاه مقصد مرسوم، يكون

الغرب نهايته، بدايته مقولة غربية خالصة هي المعجزة اليونانية. كل هذا من أجل الاستبعاد الكلي للمنتجات الحضارية السابقة، وقطع الطريق أمام المنتجات الحضارية الممكنة اللاحقة من جهة، ومن جهة أخرى من أجل رسم خلفية عرقية وجغرافية تكرس تفوق الحضارة الغربية على غيرها من الحضارات الأخرى، وهذا ما كان مبررا كافيا بشكل عام لكل البرديغمات الغربية التي تعمل على التسلط على الفكر الإنساني بصورة أو بأخرى. إزاء هذه الصورة التي نحتها الغرب عن ذاته، وفرضها كأمر واقع على الآخر المغاير نطرح التساؤل التالي: ما هي أهم الأسس والدعائم التي تشكل الرؤية الغربية الطاغية نحو الذات. كيف يمكن إقامة ثقافة تقاربية بين الأنا والآخر تحفظ التميز، وتؤمن بمبدأ التكافؤ والتنوع ؟

2. إضاءة حول خطاب التمركز الغربي:

يكاد يُجمع أغلب المؤرخين على أن تلك التحولات السياسية التي حدثت في أوروبا في نهاية القرن الخامس عشر بداية لتاريخ أوروبا الحديث، وبخاصة بعد حركة إحياء العلوم والآداب والفنون القديمة، التي امتازت بها إيطاليا منذ القرن الرابع عشر والدول الأخرى فيما بعد، على أنها الإرهاصات الأولى لبداية العصور الحديثة وما صاحبها من ثورات في مجالات المعرفة والاكتشافات الجغرافية. وقيام مؤسسة الدولة "القومية بصفة خاصة" وركائزها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية . وعليه يمكن القول أن مصطلح "الحديث" ومنه الحداثة قد ارتبط بالمضمون الآيديولوجي الذي أشاعته الثقافة الغربية بما يتوافق مع منظورها في مرحلة معينة، وبما ينتظم مع تصوراتها فيما يخص العالم والإنسان. وأفضى كل ذلك إلى نوع من التمركز حول الذات واعتبارها المرجعية النهائية لتحديد أهمية كل شيء وقيمته. وإحالة الآخر المغاير إلى مكون هامشي، لا ينطوي على قيمة ذاتية، إلا إذا اصطف في مسار الرؤية المتصلة بتصورات الذات الغربية المتمركزة حول نفسها. فالغرب في رؤيته لذاته إنما يسعى إلى إعادة إنتاج غائية لتاريخه بوصفه كيانا موحدا ومستمرا في التاريخ الإنساني، من جهة، ومن جهة ثانية اختزال العالم والاحتلال إلى تابع وساكن وفاقد للحيوية.هذا الفهم يتلخص في ثلاثية: وهم الذات–المركز ، ووهم الشرق–الثابت، والتصور المسبق للتقدم باعتباره حركة تسير في خط مستقيم.((فوهم الذات– المركز" كرسته فلسفات كل من "كانط" و"هردر" و"مونتسكيو"و"هيجل"، من خلال إعادة بناء التاريخ البشري ومحورته على أوروبا...

ومن خلال "وهم الشرق- الثابت" قام الوعي الأوربي الذي يعي ذاته من خلال الآخر، قام بعملية تفكيك الآخر وهي عملية إقصاء الآخر وتحويله إلى مجرد موضوع، وهذه المهمة قام بها الاستشراق، ومن خلال التصور المسبق للتقدم وتطبيق منهج الوحدة والاستمرارية ظهر نموذج شائع في الغرب لكيفية النظر إلى التاريخ وتفسير العلاقات بين الحضارات المختلفة خلال أربعة آلاف عام من تاريخ البشرية، هذا النموذج مدعوم بأيديولوجية المركزية الغربية)) (**الجابري، 1997، صفحة 168،167**)

فمن هذه الخلفية تولد خطاب التمركز الغربي الذي يسعى لفرض رؤيته وسيادته على الآخر المغاير مؤسسا على ثلاثة نهايات في شكل مركزيات سادت العالم والفضاء الإنساني تاريخيا متمثلة : في مركزية الإنسان مع دروايين، ومركزية الشعور مع فرويد، ومركزية الأرض مع كوبرنيك . وبمراجعة تاريخية مقتضبة نجد أن العقل الغربي يعيش على أفكار تشعره بالقيمة الاستثنائية تميزا عن الآخرين، انطلاقا من مسلمة المعجزة اليونانية التي صنعت التفرد مقابل الآخر حضاريا،و أنتجت في ذات السياق معنى التفوق العقلي و الرقي الحضاري، وأصبحت بذلك علامة راسخة على إنتاج التميز الأوروبي عبر التاريخ . وفي ضوء هذا الإطار التاريخي نشأت-بعد سقوط الاتحاد السوفياتي-أطروحة ايدلوجية تستند إلى فرضية الهيمنة الغربية عموما والأمريكية خصوصا، فظهرت مقولات متعددة منها نهاية التاريخ لفرانسيس فوكوياما الذي سعى لتصدير منطق النصر الأمريكي والأوروبي، من أجل تثبيت دعائم الهيمنة الطاغية، معتمدا في ذلك على تقوية السياسة الدولية ذات الطابع التوسعي، لتبرير أدوار تدخلها خارج مجالها القومي في شكل من الامتداد للنزعة الاستعمارية التي صدرها الغرب،وان اختلف الزمن ، كونها حاملة لمشعل الحضارة للشعوب الأخرى المتخلفة على حد خطابهم لكونها لا تتماشى مع الصبغة التغريبية ومشاريع جمع العالم في قرية واحد يكون ملهمها البناء الحضاري الغربي. (**الكنبوري، 1999، صفحة 16،17**)

غير أن جوهر الخطاب الغربي المتمركز حول ذاته، اتضحت معالمه ومقاصده منذ القرن الثامن عشر بحيث أصبحت أوروبا هي الوسيط في التقدم البشري، والفعل المبدع الذي ينبغي للعالم الاعتماد عليه سياسيا وتكنولوجيا ، ويؤكد هذا المسار المؤرخ الانجليزي توينبي حين يقول بان مهمة أوروبا هي ((جمع العالم الإنساني كله في مجتمع كبير واحد ، والسيطرة على كل شئ فوق هذه الأرض وفي البحار والأجواء ،

التي ستصل إليها الإنسانية عن طريق التقنية الحديثة)) (**ابراهيم، 1997، صفحة 18**) وعلى ضوء مضمون هذا الخطاب نجد أن العالم قد قُسم إلى مركز و هوامش، تولدت عليها مقولة أسطورة الغرب الأبدي المناهض للشرق الأبدي ،بغية الوصول إلى مسلمة الشرق المتخلف. فهذا التقسيم كان مبررا لتثبيت مقولة الانتصار الغربي المستمر والدائم ضد انغلاق الشرق وجموده،هذا أكده حسن حنفي: كون أن المخيال الغربي أصبح يرى العالم خارج المجال الأوروبي مجرد فراغ لا بد من التمدد فيه،لأهداف تتصل بمصالحهم الخاصة .ومن انعكاسات هذه الرؤية ارتباط خطاب المركزية الغربية بنظرية التأصيل العرقي التي تؤمن بوجود أعراق مختلفة ، هذا ما خلق تمايز فيما بينها لعدة اعتبارات اجتماعية أو ثقافية ، وان حقيقة هذا التصور ذات بعد غزيري تحكمه حقيقتنا البيولوجية. (**حنفي، 1991، الصفحات 22-56**) فهذا التصور وثق فكرة التميز لدى الغرب على الآخر منطلقا من فكرة العرق النقي التي رسخت نظرته الدونية لباقي الأعراق الأخرى ، وبناء عدة اطاريح غربية تدعم هذه التصورات العرقية ومثال ذلك ما قال به ارنست رينان بوصفه الحضارة الغربية بكل صفات التفرد والتفوق على البشرية بقوله: ((لم تكن الفلسفة لدى السامين غير استعارة خارجية صرفة خالية من كل خصب، غير اقتداء بالفلسفة اليونانية " وهنا يجعل الجنس السامي ناقصا كونه مجرد مكرر لما توصل إليه الجنس الآري النقي والمتفوق وليد المعجزة اليونانية الخالدة التي صنعت التاريخ والحضارة)). (**بوعزة، 2012، صفحة 155**)

وفي ضوء تلك المعطيات قدمت أوروبا نفسها على أنها منبع للتقدم العلمي و الكوني ، ما جعل عمق خطابها الممركز يؤسس على ثلاثة أفكار متداخلة وهي : السمو الأوروبي ، وفكرة امتدادية أوروبا ، وفكرة أوروبا مركز العالم ، ما جعل خطاب المركزية الغربية يقول بالخصوصية المطلقة لتاريخ الغرب الذي أنتج حضارة مثمرة ومتفردة ، وعلى كل حضارة تسعى للتقدم الأخذ بذات الأسباب التي اخذ بها الغرب وعلى رأسها التخلص من خصوصياتها الثقافية باعتبارها، أحد آليات التي عززت تخلف الآخر الساعي لامتلاك الحضارة . ولم يقف الخطاب الغربي المتمركز،عند هذا الحد بل قدم مشروعا ثقافيا وحضاريا، فحواه تجانس الإنسانية مستقبلا من خلال عولمة النموذج الغربي ، وهذا ما نتج عنه مخاطر بالغة سوغت لنزعة التوسع

على حساب الآخر، حيث برز ذلك في أشكال عدة كاحتلال العالم وإبادة الحضارات والثقافات العريقة. **(ابراهيم، المركزية الغربية، 2019)**

ولعل من الضروري هنا توضيح فكرة هي أن الحديث عن خطاب التمركز لدى الغرب متنوع الأنماط والصور ، ومتعدد الآليات والإمكانات،لكن الثابت فيه هو أن الغرب يسعى دوما لإبراز كونيته عبر استصدار مختلف القوانين والنصوص والتشريعات ،وتصدير المشاريع المتنوعة لإخضاع الآخر، سواء عبر شهوته الاستعمارية التي أبانت على سعيه الدؤوب للتملك والتغول على الآخرين في شتى المجالات ، منطلقا من كونه المحور الذي تدور في فلكه ومن حوله كل الأطراف الأخرى ، وأن يبني وجوده الحضاري على حساب الآخر الهامشي ، ويفرض عليه سطوته إما بطرق مباشرة أو غير مباشرة.لكم ما يجب التأكيد عليه أن هناك علاقة وثيقة بين مفهوم التمركز الغربي والنظريات السياسية المعاصرة التي تحاول إعادة رسم العلاقات الدولية والنظام الدولي بعد انتهاء مرحلة الحرب الباردة، وفق رؤية نمطية أحادية طاغية في النرجسية والاعتداد بالذات. منتهاها ما يسمى بالغزو الثقافي الغربي أو التغريب،وهو محاولة من الإنسان الغربي لفرض نماذجه هذه على شعوب العالم. ومن هنا يظهر دور المركزية الثقافية والعلمية ودور الوسائل المعرفية والإعلامية و الاتصالية في ترسيخ المركزية الغربية. كونها من أبلغ وأكثر الوسائل المستخدمة تأثيرا في فرض السيطرة على الشعوب الأخرى،لأن هدفها ليس السيطرة على المكان أو النظام ،و إنما يتجاوز ذلك إلى غزو العقول.

3. منطق الهيمنة في خطاب التمركز الغربي :

إن الانطلاق من تعريف المركزية الغربية كونها "الممارسات التي تركز على فرض الحضارة والمصالح الغربية عموما في جميع مجالات الحياة على حساب باقي الثّقافات والحضارات والشعوب، بكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة " (**الغامدي، 2014، صفحة 27**)، وعليه سيكون التمركز الغربي يعتمد على نظامين هما: الغزو العسكري والغزو المدني. والغزو العسكري المراد به استخدام القوة الحربية لفرض المركز لأجندته ورؤاه، أما الغزو المدني فهو توظيف التقنيات المدنية الاقتصادية والمالية والسياسية والثقافية والفكرية في التغيير الحضاري، الذي يريد المركز أن يحدثه في هذه الأنظمة والآليات . وعليه فإن المتوغل في أبجديات

الفكر التسلطي الذي عمل الغرب على تصديره انطلاقا من مسلمات متعددة رسمها هو لنفسه ، ليجد فكرة الخوف من الآخر مسيطرة عليه خاصة إذا توفر لدى ذلك المقابل الجموح نحو التقدم . ولعل من بين أكثر الحضارات التي تمثل خطرا وشيكا على الإيديولوجية الغربية هي الحضارة الإسلامية، لاعتبارات عدة تتجلى: في تاريخية الصراع بين العالمين الغربي والإسلامي في شكل الحروب الصليبية والفتوحات الإسلامية ، وتقعيد لفكرة الخطر القادم من الإسلام خصوصا بعد نهاية الثنائية القطبية في العالم، وعودة التنازع القديم بين الغرب المسيحي والشرق الإسلامي.فكل هذه الغايات ناتجة عن فكرة استحداث عدو جديد للغرب بعد نهاية الحرب الباردة لضمان تواصلية هذا التصور، وهو ما يمثل في حد ذاته جوهر خطاب التمركز الغربي في علاقته مع الآخر الإسلامي. (**هاليداي، 1997، الصفحات 129-135**)

و للاستفاضة أكثر في بيان منطق التسيُّد الغربي على العالم سنتناول بعض النماذج والمشاريع التي اعتمادها الغربي ضد الآخر عموما والعالم الإسلامي خصوصا وذلك وفق مسارات متعددة وهي كالتالي:

ا/ من مشروع الاستشراق إلى النهج الاستعماري:

بعد استشعار العالم الغربي لسطوته الفكرية بعد عصر التنوير، جنح إلى سعي للسيادة الكونية،باعتباره مركزا للتاريخ والإنسان، بدعوى نشر الحرية والتحضر ضمن براديغمات العقل الغربي ليكون هذا ركيزة لتغليب ايدولوجيا المركزية الأوروبية على مختلف شعوب العالم بعيدا على تاريخهم وثقافاتهم الأصيلة. من هنا انطلق الغرب من فكرة نشر التنوير والحضارة في العالم لتبرير الموجة الاستعمارية التي اجتاحت الكثير من مناطق العالم ، فكان حجم البلدان التي تم استعمارها تزيد مساحتها على مساحة المملكة المتحدة بمائة أربعين ضعفا، فعلى سبيل المثال مساحة مستعمرات الدولة الفرنسية تجاوزت مساحة فرنسا ذاتها بعشرين ضعفا ليكون نتاج ذلك أن بعض الدول الغربية كبريطانيا وفرنسا وروسيا القيصرية سيطروا معا على أكثر من نصف العالم. (**ماند ، 1960، صفحة 19**)) وكان ذلك من خلال:

1/الحملة الاستشراقية:

فالاستشراق هو تيار فكري يسعى لتقديم قراءة غربية لحضارة وتراث ولغة الشرق الإسلامي ،ولقد استُخدم هذا التيار كأحد الآليات المساهمة في تعزيز منطق الهيمنة في خطاب التمركز الغربي كمشروع محدد

المعالم والغايات ، حيث استخدم كوسيلة لفهم المجتمعات العربية والإسلامية المصنفة في الهامش الهامشية،وهي تلك المجتمعات في شمال إفريقيا و آسيا،حيث تم التغلغل في عمق هذه المجتمعات بالترويج لنزعة التفرد الغربية نظرا للخلفية العنصرية والدونية التي ربطها الغربيون بالفكر الشرقي وعلى رأسه الحضارة الإسلامية،ففعلا كانت تعقيبات ادوارد سعيد بليغة في توصيف حقيقة الاستشراق كأحد صور السيطرة بتأكيده على أن الغرب رفض بشكل صريح كل أنماط المعرفة والثقافة الأخرى ،مما زاد الهوة الفاصلة بين ذاته المتعالية والآخر المقابل له إلى درجة تحويل خصوصيات العالم الشرقي إلى جزء من الماضي الذي ينبغي تركه أو الاحتفاظ به في المتاحف. (**سعيد، 1996، صفحة 99**)

فمن هذه المقاربة يتّضح الهدف النهائي من وراء هذا المشروع وهو السيطرة على بلدان وشعوب العالم الإسلامي، طمعا باستغلال الأرض واستعباد الناس ، والسيطرة على كل شى كوسيلة لتحقيق غايتها الاستعلائية على العالم ، فالاستشراق هو استعمار ثاني يفرض وصايته على الفكر والقيم ، وعليه يقول المستشرق الهولندي سنوك هرجرنجي عن ذلك بقوله : ((إن الشريعة الإسلامية موضوع مهم للدراسات الاستشراقية ، ليس فقط لأسباب تجريدية متعلقة بتاريخ القانون ،والحضارة والدين ، ولكن كذلك لأهداف عملية، وذلك انه كلما توثقت العلاقات بين أوروبا والشرق الإسلامي كلما زادت عدد البلاد الإسلامية التي تقع تحت السيادة الأوروبية، وزادت الأهمية بالنسبة لنا نحن الأوروبيون لنتعرف على الحياة الفكرية وعلى الشريعة ، وعلى خلفية المفاهيم الإسلامية)) (**عبد الجواد، د.س، الصفحات 1297–1298**)

ولا يفوتنا هنا أن نؤكد على أن أسلوب المستشرقين كان حاقدا على الإسلام في أغلبه ، فكانت كتاباتهم على الإسلام والرسول عليه الصلاة والسلام لا تخرج عن هذين الاتجاهين: أوله كان في العصور الوسطى واتسم بنزعة الخصومة وقاد هذا المسار رجال الدين المسيحين الذين طرقوا شتى السبل لتشويه صورة الإسلام، ورسموا صورا نمطية لأفراد المجتمع المسيحي على أن هذا الدين لمشعوذ مجنون ولد في البادية، وأنه يدعو إلى البربرية والهمجية. وهذا ما أبرزه المستشرق الانجليزي مونتجيري وات في محاضرة له في الكويت عام 1971 في ان الأوربيين في عصر النهضة كان لا يزال لديهم إحساس بالنقص بالنسبة للمسلمين ،لهذا عمد مفكروهم إلى تشويه حقائق الإسلام ،فعرضوا تاريخ المسلمين في صورة منفرة . وهذا ما شرع

فيما بعد للحملات الاستعمارية على العالم الإسلامي،وأما الاتجاه الثاني في العصر الحديث غلب عليه الغموض في التحليل والمناورة في دراسة التراث الإسلامي بين منصف في تقصي حقائق الإسلام من أمثال غوستاف لوبون واللورد هدلي الملقب بعد إسلامه "سيف الرحمان رحمة الله فاروق" وآخر متطرف حاقد أمثال افتراءات كل من فولتير وارنست رينان وكيمون. (**الجبري، 1995، الصفحات 219–225**)

2/الحملة الاستعمارية:

إن الاستشراق دعامة من دعائم قيام الاستعمار، فهنالك علاقة وطيدة بين الاستشراق والاستعمار خاصة مع الاتجاه الأول في الدراسات الاستشراقية في عصر النهضة حيث سعى الرهبان والقساوسة لتسويد صورة الإسلام لتبرير بعد ذلك للهجمة الاستعمارية التي ستشن على العالم الإسلامي باسم نشر الحضارة والتمدن .فبعد فشل الحروب الصليبية اهتدى الغرب لنهج الاستشراقي تماشيا مع مرحلة الاستعمار الحديث وغزو الشرق ثقافيا وعسكريا .، حيث لعب المستشرقون دورا هاما في دراسة نفسية الشعوب وعاداتهم لضمان السيطرة عليهم بأقل التكاليف خاصة في القرنين 19 و20 م وذلك بتقديم الخلفية الفكرية والثقافية للمستعمرين مع صناعة القابلية للاستعمار لدى البلدان المستهدفة من أمثال هؤلاء الذين سخروا علمهم لتقليل من الإسلام وتمهيد لغزو العالم الإسلامي في شكل رحالة أو تحت غطاء الدراسات العلمية أو حب المغامرة والتعرف على البلاد الإسلامية وعلى سبيل مثال كل من: لورنس ،برناد لويس ، ماسينيون الفرنسي. (**القصيمي، 2013/2012، الصفحات 2–4**) لقد رأت القوى الاستعمارية أن أنجع طريقة لسيطرة على المسلمين تغيير عقليتهم وقطعهم عن تراثهم وثقافتهم وذلك من خلال عدة أساليب مختلفة:

*– نقض مفاهيم الإسلام وتحريفها،وخلق طوائف تنكر سنام الإسلام،وهو الجهاد بإلغائه أو تفسيره على غير وجه لإلغاء منطق المواجهة ضد الاستعمار.

*– الطعن في أسس الإسلام وتصويره لأتباعه على أنه سبب تخلفهم وتأخرهم عن ركب الحضارة والتقدم.

*– سعي لإسقاط اللغة العربية وتعويم اللغات الأجنبية وترويج لاستعمال العامية في المجتمعات الإسلامية ،والهدف من ذلك قطع المسلم عن تاريخه وتراثه الأصيل ليسهل احتوائه.

*- دعم الحركات التبشيرية و موجات المستشرقين التي تهدف لنشر الشبهات والمغالطات حول الإسلام لزعزعة العقيدة الإسلامية من الداخل وتحقيق الانفصال عن الدين لتحقيق قابلية أسرع للاستعمار. (**الجندي، الاستعمار والاسلام، د.س، الصفحات 19-20**)

غير أنه على مر السنين برز أن مبرر هذا المد الاستعماري متناقض مع طرحه الموسوم بنشر الحضارة والمبادئ الإنسانية، ليكون في النهاية مجرد امتداد لفكر الهيمنة على مقدرات ومقومات الشعوب المغايرة ثقافيا وأيديولوجيا فسجلات التاريخ زاخرة بالقرائن التي تشهد على أن الاستعمار الغربي لم يكن إلا مجرد ناشر للفوضى والتخلف،وارتكاب الجرائم ضد الإنسانية.لقد كان من بين هذه الدول المعنية بالمشروع الاستعماري الدول الإسلامية تحت دعوات براقة وخداعة وتحت مسميات متعددة منها: حق تحضير الأمم المتخلفة ، ورسالة رجل الأبيض إلى العالم الأسود والأصفر ، مع اشتراط إتمام هذا التحضير بإخضاع هذه الشعوب لوحدة الحضارة الغربية التي تلغى قيم ومقدسات هذه الأمم وتحل محلها القيم التغريبية ، من أجل إنهاء أي شكل من المقاومة للنفوذ الاستعماري الذي يسعى لتغريب الشرق الإسلامي، وفصله عن دينه ولغته وتراثه بمشاريع اندماجية متنوعة و تعميم سياسة التبشير في شكل من الفرض القسري للفكر الغربي على العالم الإسلامي. (**الجندي، 1983، الصفحات 396-397**)

ب/ خطاب الهيمنة بين نظرية صراع الحضارات وأطروحة نهاية التاريخ :

لقد تعددت خطابات الهيمنة الغربية على العالم وإن اختلفت في المضامين والتصورات، إلا أن الغاية واحدة في إثبات نزعة التفرد عن الإنسانية وفرض الوصاية على التاريخ والإنسان ، وأن الغرب هو مركز العالم، لكونه المنتج الواحد و الوحيد للقيم الإنسانية، والطرف الأوحد القادر على وضع وتقنين معايير التقدم و التخلف و في حسم انتقال مجتمع ما من وضعية البربري الهمجي إلى المدني المتمدن، ومن بين هذه النماذج من الخطابات :

1/نظرية صراع الحضارات:

ظهرت هذه النظرية بعد سقوط الاتحاد السوفيتاني في مقال تحت عنوان " صراع الحضارات" للأستاذ الجامعي صاموئيل هانتنغتون صيف عام 1993 ، وتحول هذا المقال فيما بعد إلى كتاب بذات العنوان.

مضمونه يفصل في سياقات النظرية الجديدة التي ستعيد صياغة النظام الدولي الجديد بناء على تنظيرات سابقة للفكرة حسب الباحثين لكل من أرلوند توينبي وبرناد لويس وقولبتها في عالم جديد ذو بعد أمريكي واحد يكون نتاجه ذيوع الصدام الحضاري.إذ يرى هانتنغتون أن العلاقات بين الدول والجماعات من حضارات مختلفة لن تكون وثيقة وتميل أكثر للعدائية، وأن التداخل الحضاري سيكون منشأ خصبا للصدام على المستوى الكلي،و هذا التقسيم بين الشرق والغرب يكون مرتبطا بصراعات شرعية بين المجتمعات الشرقية والغربية في ظل التميز الغربي على الآخر. (**المحمدواي، 2012، صفحة 54**) والجدير بالذكر أن نهاية هذه النظرية هي تسيد الغرب للعالم على رأسه الولايات المتحدة حيث يقول في معرضه كتابه ((إن الغرب هو الحضارة الوحيدة التي لها مصالح أساسية في كل حضارة أو منطقة أخرى ، ولها القدرة على التأثير على سياسة وامن واقتصاد كل حضارة أو منطقة أخرى)) (هانتغتون، 1999، صفحة 133) ففي ظل هذا التوجه سيكون منطق المواجهة هو السائد بين الحضارات وذلك لعدة أسباب منها:

*- الاختلاف بين الحضارات حقيقة ثابتة عبر التاريخ والثقافة والعادات والدين وهي نتاج قرون من التواصل الابستمولوجي ما يجعلها لا تتجاوز التخالف بين الإيديولوجيات السياسية.

*- إن العالم يتحول بسرعة لقرية كونية وهذا ما يضاعف التفاعل بين الحضارات ما يكرس استدراك التفاوت الحضاري فيما بينها المفضي للتصادم.

*- عمليات عصرنة الاقتصاد والتغيرات الاجتماعية دورية في كل أرجاء العالم، ستضعف لا محالة الهويات المحلية المتجذرة.

*-جعل الغرب على قمة هرم التفاوت الحضاري تعزز قوته من جهة ، وفي ذات السياق تولد مجابهة مع غير الغربيين الذين يسعون لتشكيل العالم بطرق غير غربية، ما ينتج عنه ثقافة الإلغاء متبادل.

*- الخصوصيات والاختلافات الثقافية اقل تبدلا بين مختلف الحضارات وهي في ذات المنحى اقل قابلية للتراضي بين المجتمعات ما يولد الصدام. (**عمارة ، ديسمبر 1998، الصفحات 27-30**)

2/ أطروحة نهاية التاريخ :

تزامن ظهور هذه الأطروحة مع التغييرات السياسية والاقتصادية التي رافقت النظام الدولي الجديد الذي تتزعمه الولايات المتحدة الأمريكية ،حين ألقى فرنسيس فوكوياما محاضرة بعنوان " نهاية التاريخ عام 1989 وتحولت عام 1992 لكتاب شارح لأبجديات هذا البناء الفكري حسبه ،حيث يرى أن الديمقراطية الليبرالية هي النقطة النهائية لتطور الايدولوجيا البشرية، والشكل النهائي لأي فكر إنساني وعليه ستتوقف عجلة التاريخ ضمن هذا السمو الحضاري. (**فوكوياما، 1999، صفحة 23**). وعليه فالديمقراطية الليبرالية هي النقطة النهائية لتطور الايدولوجيا البشرية . وفي ذات المعنى يؤكد فوكوياما على أن القصد من نهاية التاريخ لا يعني توقف عجلة الزمان، بل إن ذلك يعني أنه لن يكون هنالك إمكانية للتقدم على مستوى المؤسسات والمبادئ وذلك بفضل حل كل المسائل الكبرى، فلا مجال للاجتهاد والتنظير في ظل وصول الإنسان إلى هرم الحضارة الذي تمثله الحضارة الغربية . (**راهي، 2017، الصفحات 50-51**) فنستلهم من هذا الطرح عمق النزوع نحو السيطرة التي تسعى أطروحة نهاية التاريخ إلى تصديرها للعالم، وفرض نزعة التسيد الغربية وعلى رأسها أمريكا كقائد للعالم والحضارة ،ولقد نبع هذا المفهوم في ظل إحساس الغربيين بانتصار قيمهم وثقافتهم بعد انهيار الاتحاد السوفياتي وخلو الساحة الدولية من أي منافس، ما جعل حتمية بسط الهيمنة على العالم أمر واقع، ممهد للتربع على حقيقة التاريخ ووحدته ،وتحديد مساره ونهايته، وتكريس ثقافة الاستتباع والاستهلاك للمجد الغربي.

ج/ آلية العولمة والهيمنة الشاملة:

تعددت تعريفات العولمة بتشكيل وبلورة العالم كله بوصفه مكانا واحدا أو انه حالة إنسانية عالمية واحدة ، وهنالك من رأى أنها تعني في جوهرها رفع الحواجز والحدود أمام الشركات والمؤسسات والشبكات الدولية الاقتصادية والإعلامية والثقافية كي تمارس أعمالها بخصوصية أكثر (**رفيق، 2007، صفحة 6**)، ولكن حقيقة هذا المفهوم تكمن في كونه مجرد" أمركة للعالم "لتمثل الانعكاس الثابت عند الغربيين للسيطرة على العالم ،فما تفرضه الو.م.ا في النظام الدولي الجديد على انه عولمة تحت مظلة حقوق الإنسان والقيم الأخلاقية والديمقراطية وتسخيرها المؤسسات الدولية والمنظمات العالمية مجرد خدمة لمآربها وتكريس لهيمنتها

، وسبيلا للتدخل في الشؤون الداخلية للدول ولو بالحروب، بفرض أنماط ثقافية واقتصادية جشعة،تخدم شركاتها الدولية العابرة للقارات، على حساب اقتصاديات الدول الفقيرة . من هنا لا يمكن وصف العولمة إلا كونها مجرد وحش متعدد الأقنعة لفرض الهيمنة على الآخرين ثقافيا واقتصاديا وسياسيا في ظل إعلام معولم وموجه يخدم المصالح الغربية. (**مراد، د.س، الصفحات 144–149**)

فمن المعلوم أن العولمة تحمل أجندات خفية تريد ضمان المصالح الغربية وسيطرتها على العالم من خلال جملة من العمليات والدوافع و المتغيرات ،فالعولمة كعملية تسعى نحو توسيع النفوذ وضمان مكانة الغرب في ظل عائدات اقتصادية ثابتة ما يكرس نزعة امبريالية في هذا التحول نحو نظرة عالمية للأسواق. (**سميث، 2011، صفحة 23**) وعليه لا يمكن حصر العولمة في المرجعية الاقتصادية فقط ، بل إن هنالك نوع عولمي آخر يخدم هذا المسار يتجلى في العولمة الثقافية التي تهدف إلى تحطيم الخصوصيات القومية من هويات وقيم لمختلف الشعوب وترويج للقيم الفردانية الاستهلاكية عامة والمفاهيم الغربية خاصة واعتبار القيم الغربية مرجعية وحيدة للتعايش ضمن نطاق العولمة الشاسع والمتغير ، وهذا ما يعكس روح التمركز حول الغرب وطبيعته الميالة للهيمنة. (**العاني، 2009، صفحة 129**) فالعولمة تفرض رؤية شمولية على الآخر تصون القيم الغربية فقط ضمن نظام القرية الكونية التي سعت لتجسيده. ومن هذا المبدأ يبقى العالم الغربي هو المركز في التصدير لكل ما يريده، ويصير اللاغربي مجرد هامش مستقبل.

4.مقاربة البدائل المتاحة: من تجاوز سياقات الهيمنة إلى جدلية التقارب :

في ظل تلك المؤشرات التي حكمت بداية الألفية الجديدة، ظهر مجال العلاقات بين الحضارات عاكسا لنمط من الصراع بين مختلف القوى، في وقت تهاوت فيه معاني الحدود في ظل الانفجار التكنولوجي و العولمي الحاصل ، وتضاؤل حدة الصراع الإيديولوجي بسقوط الاتحاد السوفياتي ، تجسدت الهيمنة الغربية على كل المستويات ، وفي كل المجالات. هذا ما جعل عديد الباحثين والمفكرين ينظِّرون لإيجاد بدائل للتمركز، من أجل تفكيك فتائل الصراع والانكفاء على الذات، وإحالتها إلى مشاريع ورؤى أكثر انفتاحا في ظل الاحترام المتبادل ، بعيدا عن منطق التسلط والهيمنة و من بين تلك الرؤى :

ا/ مشروع حوار الحضارات من روجي غارودي إلى محمد خاتمي:

يرى غارودي أن البديل الحضاري يكمن في حوار الحضارات بين الغرب والإسلام بقوله: ((الحوار بين الحضارات وحده يمكن أن يولد مشروع كوني ينسق لاختراع المستقبل ،وذلك ابتغاء أن يخترع الجميع مستقبل الجميع)) (**غارودي، 1999، صفحة 10**)، وفي ذات السياق يدعم المفكر الإيراني محمد خاتمي هذا المشروع باعتقاده انه رغم كل العوائق التاريخية والعصرية في ظل الاحترام المتبادل والمساواة وكسر كل حواجز الجهل المتبادل ين البشر وبناء المعرفة بالآخر بدل الإقصاء والتهميش والمركزة حيث يقول في ذات الصدد انه من الواجب ((أن نغير تلك الفكرة الخطيرة والخاطئة القائلة بالمواجهة بين الحضارات ، بالدعوة إلى الحوار بين الثقافات والحضارات)) (**خاتمي، 1999، صفحة 136**) فمشروع حوار الحضارات كآلية تقارب يهدف إلى تجاوز الفرديات التي خلقت غابة من الانتحارية للحضارات على أبواب بعضها البعض تحت دعوة الوطنيات والمعتقدات والأحزاب ، فالعيش مع الآخر يلزم توسيع الرؤى والغايات وإلغاء الحواجز المصطنعة في العقل البشري دون فرض وصايات مسبقة لبناء مستقبل إنساني مشترك يكون أساسه الإنسان وصلبه الحضارة وعمقه التحاور ، فالعيش في فوضى التسلط ستحطم غاية الوجود الإنساني الذي يسعى إلى بناء حضارة وليس لخلق عدو ، فالعالم اكبر من المواجهة لان طبيعته جبلت على التعايش بين المتغيرات. (**غارودي، 1996، صفحة 73**)

إن هذا التقديم الموجز لكل من تصور غارودي وخاتمي يؤكد أن الواقع يفرض التعايش بدل الصراع مادامت مسلمة العولمة حقيقة قائمة، وذلك بأن يأخذ الغربيون والمسلمون زمام المسؤولية لنجاح هذا الحوار بأن يتخلى الغرب عن سياسته الخارجية العدائية والتسلطية مع المجتمع الدولي ، ويتجاوز الشرق منطق التبعية السلبية التي يبرز ضمنها حوار الثقافات والأديان للوصول إلى النقاط المشتركة إنسانيا في ظل وحدة القيم الإنسانية والثوابت الفطرية .فمن أجل تجاوز راهنية الصراع يحتم في كل مرة السعي لإيجاد مخارج عبر مشاريع واعدة تحقق التفاعل الحضاري ،كبديل أبلغ وأنجع عن صدام الحضارات ، فالمنحى التجاوزي لبنية الصراعات الحضارية أصبح يطرح نفسه بقوة ، بغرض الوصول إلى مبادئ عامة تصبح فيما بعد هي حجر الزاوية في إقامة تفاعل حضاري، يكون نتاجه موقف مقارب للمساهمات الحضارية عبر التاريخ ، وفي

مقدمتها الحضارة الإسلامية التي تؤكد على منطق التدافع الذي يضمن التكامل بين الحضارات بغية الرقي بالأوضاع الإنسانية بعيدا عن روح الإقصاء والرفض للآخر. (**ليلة ، 2006، الصفحات 89-90**) ولكي نصل لمشروع حضاري منتج لابد على كل الأطراف أن تتخلى على بواعث الصرع ومحفزاته، وذلك بتحطيم صنم إيديولوجيا تغريب العالم وفي المقابل تخلي الإسلام والشرق عموما على ثقافة الاستعداء وإحلال محلهما إرادة التحدي كآلية لضمان التفاعل الحضاري، ليأخذ بذلك التكامل الحضاري مساره الطبيعي، ويكون للحوار بمقتضى ذلك معنى وجدوى،كونه يرمى لتحقيق ثوابت إنسانية عادلة . لقد قدم الإسلام للعالم آلية التدافع الحضاري كمسار ايجابي، ليؤكد من خلاله أن الحضارة ظل للناس كافة مادامت الوحدة الإنسانية مبنية على وحدة الجنس والأصل البشري ، وصادرة عن الإرادة الإلهية ، ويصبح بذلك الصراع قاعدة شاذة وطارئة.

ب/ الحوار بين التعارف والتدافع الحضاري الإسلامي:

بناء على المقولات التي تأسست عليها نظريتي صدام الحضارات ونهاية التاريخ ،تتجلى لنا كل القرائن التي تؤكد يقينا على أن الغرب الأوربي قد رمى بكل ثقله التاريخي ، من أجل فرض واقع الهيمنة وضمان التفوق على امتداد التاريخ القادم، بحيث يبقى الغرب وإلى الأبد هو المركز وغيره الأطراف، والشاهد على هذا هو الواقع المفروض عبر تغلغل الحضارة الغربية في العالم على مستوى أكثر عمقا، يعني مستوى القيم الحضارية والثقافية بغية فرض شروط ثقافية وحضارية ذات صبغة عالمية. غير أن الرؤية الإسلامية رفضت مقولة التدافع السلبي التعاركي وفق مقولة الصراع المسوقة عالميا، كسبيل لحل التناقضات والخلافات التي تحدث بين المتعددين المختلفين، وذلك لأن غاية الصراع ومآله نفي وإلغاء الآخر، وبالتالي نفي وإلغاء للاختلاف والتمايز كسُنَّة كونية. فالرؤية الإسلامية تتنكر لنزعة المركزية المغرضة التي تريد أن يكون العالم نمطا وقالبا واحدا، منكرة على الآخرين حق التمايز والاختلاف ،يقول الله تعالى ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ.)) (**القرءان الكريم –سورة الحجرات –، صفحة الاية رقم 13**)

لذا جاءت الرؤية الإسلامية مؤسسة على قاعدة التعارف كمبدا تنتفي عنده كل أسباب ومغذيات الصراع والتصادم. فمفهوم التعارف الإسلامي مفهوما إنسانيا شاملا لكل البشرية دون استثناء، ولما كان إطارا أخلاقيا يضبط علاقات الناس وتواصلاتهم وتفاعلاتهم وحواراتهم بجملة من القيم والأخلاقيات والمبادئ، فإن هذا التعارف يعد قيمة أساسية من قيم عالمية الإسلام وخصائصه العامة الأخرى. فالتدافع الإيجابي التعارفي وفق الرؤية الإسلامية هو الذي يروم دفع الآخر للعدول عن مواقفه المتعصبة والعدوانية عن الآخر المتمايز عنه، وإشراكه في تحقيق المصلحة والمنفعة العامة للنوع الإنساني على اختلاف عقائدهم ومذاهبهم، فيربح جميع الأطراف المتدافعة، ويساهم الجميع في صنع حاضر ومستقبل الجميع. فالتعارف في هذا المقام إنما المقصود به رجوع الكثرة من الأفراد على تعدّدهم القبَلي والعرقي إلى وحدة متعاونة على ما يكون به قوام الحياة بتعدد أوجهها، وما يكون به تحقيق الأغراض والحوائج، توجها في ذلك توجها سباقيا للاقتراب من الله تعالى بتحقيق أوامره، وتلك هي التقوى التي دلت بها الآية في مقام الهدف الذي من أجله يكون التعارف. فالأمة الإسلامية في تواصلها مع غيرها، مبدؤها التعارف أي تواصلها من أجل المعروف، وتعاملها بالمعروف، بدليل ربطها التعارف بالكرامة والتقوى. فالعمل التعارفي يكون بين الأشخاص المختلفين كما يكون بين الأمم والشعوب المختلفة على قيم الخير والمحبة، يقول طه عبد الرحمان ((حقيقة التعارف هو التعاون على المعروف وترك التعاون على المنكر.)) (**عبد الرحمان ، 2005، صفحة 21**)

فالخطاب الإسلامي في تأسيسه لمشروع تعارف الحضارات،لا يروم كسر الثنائيات، وإلغاء التمايزات والتفاوتات، بل يؤسس لمشروع يقر بالاختلاف، ويعترف بالتمايز كسنة كونية فطر بها الله عز وجل مخلوقاته للاعتبار وليس للاحتقار، وللإبقاء وليس للإلغاء كما هو متأصل في الرؤية الغربية ،لقوله تعالى((وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ.)) (**القراءن الكريم – سورة الروم–، صفحة 22**)،فهذه الآية تبرر سمة التعدد التي تمثل توطئة لاحترام الاختلاف ودعوة ضمنية لوجوب التعارف بين الأمم المتنوعة في لسان ولون، في شكل من الانفتاح والتواصل الحضاري مع الآخر. ويرى زكي الميلاد أن الآية كانت ملهمة له لما تضمنته من مبادئ كلية وأبعاد إنسانية

عامة تجعل الخطاب موجها للناس كافة (**الميلاد، 2013، صفحة 111**) وعليه يكشف لنا هذه المبادئ المذكورة على هذا النحو :

*- خطاب العالمية في الآية بقول الله " يا أيها الناس" بعد أن عهدنا خطاب القراءني الذي يحمل صفة الأمر يكون محصورا في قوله الله تعالى " يا أيها الذين امنوا" ، فهذا التحول الخطابي من الخاص إلى العام يوحى بإشارة لمبادئ إنسانية عامة ،فهذا الخطاب لا يحمل خصوصية في ذاته،ولو كان عكس ذلك لكان علامة فارقة بتحول ندائه للمؤمنين ليتغير السياق كليا عن معنى تعارف الحضارات الذي ننشده،بالإضافة إلى أن ورود كلمة الناس لها دلالة بليغة فهي تحمل عموم استغراقي لجنس الإنسان بغض النظر عن جميع صفاته العارضة.

*- تذكير بوحدة الأصل الإنساني " إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا " فأراد القرءان بذلك أن يقرر أعظم حقيقة في مجال الاجتماعي الإنساني وهي وحدة الأصل البشري ، فمهما تنوعت الأعراق واللغات والألوان والأمكنة فان واحدية الأصل ثابتة ،فهذا الأمر أقوى حجة للتخلص من نزعات التعالي والعنصرية والطبقية والكراهية والتراتب بين البشر.

*- تقر الآية بالتنوع البشري " " ، فبعد بيان وحدة الجنس البشري جاء الإقرار بحقيقة التنوع البشري ، وهذا ما يرسخ أن وحدة الأصل الإنساني لا تنفي حقيقة التنوع الإنساني وعكس صحيح.

*- فبعد هذه التراتبيات المتناغمة تختم الآية في قولها " لتعارفوا" ليظهر مفهوم التعارف جليا بأن تنوع الناس لشعوب وقبائل متعددة لا يعني الفرقة أو عيش كل شعب وحضارة في عزلة عن الآخرين ، كما أن هذا التنوع لا يمكن أن يكون مبررا للتصادم بين الناس ، ضف إلى ذلك أن الآية الكريمة لم تستخدم كلمة لتحاوروا ، أو لتوحدوا ، أو لتعاونوا ، فالتعارف هنا هو المؤسس لكل تلك المعاني حوارا ووحدة وتعاونا ما ينعكس على ذلك في تلافي كل مسببات الصراع والتصادم بين الحضارات. (**الميلاد ، فكرة تعارف الحضارات وكيف تطورت ؟، 2016**)، وعليه يقول الميلاد ((إذا اعتبرنا صدام الحضارات بوصفها نظرية تفسيرية وحوار الحضارات بوصفها نظرية نقدية أو علاجية ، فان تعارف الحضارات هي نظرية تأسيسية بمعنى أن القاعدة فيها هي التأسيس وليس الإخبار، فقد جاءت لإنشاء شكل العلاقات المفترض بين

الناس كافة حينما انقسموا إلى شعوب وقبائل كما نصت عليه الآية الكريمة التي سميت آية التعارف)) (**المحمدواي، 2012، صفحة 123**)

إن منطلقات الإسلام تعزز هذه الرؤى مناهضة للمركزية الحضارية من خلال فلسفة التدافع بين الحضارات في شكل حراك اجتماعي وثقافي وحضاري في ظل احترام التعددية وتصحيح العلاقات المنحرفة في توسط بين السكون والصراع ، هذا المنحى ليس مجرد اجتهادات تعكس الفكر الإسلامي بل هي شريعة ثابتة بنص القرءان في قول الله تعالى "ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم " (**القراءن الكريم – سورة فصلت –، صفحة الاية رقم 34**) وعليه يؤكد القرءان الكريم أن التدافع سنة كونية بديلة للتصارع مع الآخر لتحقيق التقدم ، فالرؤية الإسلامية تجاوزت المتناقضة الثنائية الصراع الحضاري وعكسه السكون الحضاري من خلال التوسط بإقرار التنافس والتسابق بدل التقليد والتبعية في فلسفة التدافع الحضاري التي تمثل بديلا لرؤية الغربية التي تعكس منهجا للعدوان ضد الآخر عكس البديل الإسلامي الذي يمثل قرينة للعمران وحافزا لتقدم الحضارات لقوله الله تعالى :" ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين" (**القراءن الكريم – سورة البقرة –، صفحة الاية رقم 251**) فالله عزوجل يربط هنا بين سنة التدافع ونقض الفساد في الأرض ليؤكد أن جوهر التعايش يطبعه التدافع لا التصادم بين الشعوب والحضارات. (**عمارة ، ديسمبر 1998، الصفحات 17–20**) . وعليه فميزة التدافع الحضاري في الإسلام فكرا وعقيدة لا تنشد الانغلاقية والانعزال الحضاري بين الأمم، بل على العكس تتجاوز فرض عنصر التأثر كشرط ملزم في التحاور الإنساني الذي يحمل أحد مظاهر الولاء للحضارة الغربية ،بل تتعداه لاحترام التغاير الحضاري بين الثقافات لتحقيق التقاء مثالي بعيدا عن كل شوائب الفهم الحضاري المفضي لتحول الآخر بقيمه وثقافته للحضارة المؤثرة، لأن حتمية التعاقب بين الحضارات إحدى السنن الكونية التي تنظم أي حضارة أنشائها الإنسان في إطار جدلية التقدم والتخلف بين الأمم . (**خروبات، د.س، الصفحات 61–62**)

إذا لابد أن نؤكد على أن هذه البدائل المطروحة مجرد عينات لكبح جماع مشاريع فرض إرادة الهيمنة الغربية على العالم عموما والإسلام خصوصا ، هذا ما دعا الباحثين والمفكرين لإيجاد مخارج فكرية وعملية

لتجاوز الرؤية الصدامية التي يسعى الفكر الغربي لترسيخها وتصديرها لفرض منطق التمركز والتميز الحضاري عن الآخر، وفرض الوصاية الثقافية والاقتصادية والسياسية على الإنسانية ،كون الغربي هو نموذج للتطور التاريخي والعلمي .

الخاتمة :

ما نخلص إليه هو أن أسس خطاب التمركز الغربي تستمد قوتها من التراث الثقافي والتاريخي للغرب فهذه المرتكزات،ما جعله دائما يعزز الحراسة حولها بل ويسعى للترويج الدؤوب لحقيقتها لما تمثله من قيمة حضارية تماشى مع خطابه التسلطي على العالم إلى درجة استعدادهم إلى إعلان الحروب المدمرة ضد كل الدول التي ترفض هذا الطرح أو تسعى لاكتساب القوة لمنافسة مكتسبات الحضارة الغربية أو توجه نحو تقويضها، وبناء على هذا الاحتكار القصري والتفرد الشامل في عقلية الغربيين تولد عمل دوري على فرض منطقهم بالقوة أو الوصاية إما في توجيه وسائلهم أو بناء خطاباتهم السادية ، هذا ما نجم عنه أطروحات الصراع الحضاري والتصادم الفكري بين الأمم بسبب مركزة المفاهيم و تمجيد الذات الغربية بخلفيات عنصرية و اقصائية محددة الشروط والنتائج ، ورغم هذا كله إلا أن الإنسانية عموما ميالة للتصالح والجمع وتجاوز النرجسية الغربية الجامحة نحو الهيمنة بتقديم بدائل لتقريب الرؤى وتهذيب المشاريع الغربية بما يتماشى مع حقيقة البشرية و الوحدة الحضارية بين الشعوب انطلاقا من كون العولمة وأحادية القطبية أمرا واقعا نعمل ضمنه على تجاوز هذه العوائق بمحاولة خلق توازن ثقافي وحضاري يجمع على الحوار والتحالف لتحقيق التفاعل المنتج بعيدا على منطق الهيمنة والتجبر ،وفرض النظرة الواحدية على مجتمعات خلقت باختلافات متنوعة عكست تمام الحكمة الإلهية التي ضمنت العدل بين الجميع كل حسب منطقه ومكانه بما يتماشى قطعا مع الحقيقة المنظورة و المسطورة في تحول من خطاب مرتهن يعكس وشائج الغرب الأبدي والمتحضر المتعالي على المقابل الهامشي الذي يتسم بتبعية لكونها جزء منه إلى خطابيات عادلة تحفظ الكرامة الإنسانية والتعدد الثقافي والأصالة الحضارية بين مختلف المجتمعات البشرية ، وهذا ما يؤسس حقيقة لتفاهم معتدل يلغى كل مبررات الهيمنة لصالح قبول التعايش الحقيقي في إطار وحدة المصدر والغاية في الوجود الحضاري .

قائمة المصادر والمراجع:

- القرءان الكريم –سورة الحجرات ، الآية 13.
- القراءن الكريم – سورة البقرة ، الآية 251.
- القراءن الكريم – سورة الروم، الآية 22.
- القراءن الكريم – سورة فصلت ، الآية 34.
- ابوبكر رفيق. (ديسمبر, 2007). مخاطر العولمة على الهوية الثقافية للعالم الإسلامي. مجلة دراسات الجامعة الاسلامية العالمية شيتاغونغ، صفحة 6.
- ادريس الكنبوري. (نوفمبر, 1999). بعد عشرة سنوات عليها –اطروحة نهاية التاريخ والمركزية الغربية – . مجلة الوعي الاسلامي، صفحة 16،17.
- ادوارد سعيد. (1996). تعقيبات على الاستشراق (المجلد ط1). (صبحي الحديدي، المترجمون) بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- الطيب بوعزة. (2012). في دلالة الفلسفة وسؤال النشاة (نقد التمركز الغربي) (المجلد ط1). لبنان: مركز النماء للبحوث والدراسات.
- انور الجندي. (1983). العالم الاسلامي (المجلد ط2). دار الكتاب اللبناني.
- انور الجندي. (د.س). الاستعمار والاسلام (المجلد د.ط). القاهرة: دار الانصار.
- بركات محمد مراد. (د.س). ظاهرة العولمة رؤية نقدية (المجلد د.ط). كتب عربية.
- تيبور ماند . (1960). خلاص العالم (المجلد د.ط). (نجدة هاجر، و طارق هشام، المترجمون) بيروت: المكتب التجاري.
- حسن حنفي. (1991). مقدمة في علم الاستغراب (المجلد د.ط). القاهرة: الدار الفنية.
- خليل نوري مسيهر العاني. (2009). الهوية الاسلامية في زمن العولمة الثقافية (المجلد ط1). العراق: مركز البحوث والدراسات الاسلامية.
- دينيس سميث. (2011). الاجندة الخفية للعولمة (المجلد ط1). (علي امين علي، المترجمون) القاهرة: المركز القومي للترجمة.

- روجي غارودي. (1996). أصول الأصوليات والتعصبات السلفية (المجلد د.ط). القاهرة: مكتبة الشروق.
- روجي غارودي. (1999). حوار الحضارات (المجلد ط4). (عادل العو، المترجمون) بيروت: عويدات.
-زكي الميلاد . (06 11, 2016). فكرة تعارف الحضارات وكيف تطورت ؟ تاريخ الاسترداد 13 02, 2021، من مجلة الفيصل: https://www.alfaisalmag.com/?p=3374
- زكي الميلاد. (2013). نحن والعالم (المجلد ط1). لبنان: مؤسسة الانتشار العربي.
سعيد عبد الجواد. (د.س). الاستشراق و دوافعه. حولية كلية اللغة العربية بالزقازيق(جامعة الازهر)، الصفحات 1297-1298.
- صاموئيل هانتغتون. (1999). صراع الحضارات (المجلد ط2). (طلعت الشايب، المترجمون) سطور.
- طه عبد الرحمان . (2005). الحق الاسلامي في الاتلاف الفكري (المجلد ط2). الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- عبد اللطيف بن عبد الله الغامدي. (2014). المركزية الغربية وتناقضاتها مع حقوق الإنسان (المجلد ط1). السعودية: مركز تاصيل للدراسات والبحوث.
- عبد الله ابراهيم. (1997). المطابقة والاختلاف-المركزية الغربية: إشكالية التمركز حول الذات (المجلد ط1). الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- عبد الله ابراهيم. (18 يوليو, 2019). المركزية الغربية. تاريخ الاسترداد 14 02, 2021، من موقع مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث:
https://www.mominoun.com/articles/%D8%A7%D9%84%D9%A%D8%A9-8%985%D8%B1%D9%83%D8%B2%D%D8%A7%D9%84%D8%BA%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%A9-6713

- عبد المتعال محمد الجبري. (1995). الاستشراق وجه للاستعمار الفكري (المجلد ط1). القاهرة: مكتبة وهبة.
- عبير بنت عبد الله القصيمي. (2013/2012). تقرير حول علاقة الاستشراق بالاستعمار. كلية التربية ، – قسم الدراسات الاسلامية –. السعودية: جامعة الملك سعود.
- علي المحمدواي. (2012). خطاب الهويات الحضارية من الصدام إلى التسامح (المجلد ط1). ابن النديم للنشر والتوزيع.
- علي ليلة . (2006). تفاعل الحضارات (المجلد ط1). دار شركة الحريري للطباعة.
- فرنسيس فوكوياما. (1999). نهاية التاريخ والإنسان الأخير (المجلد د.ط). (فؤاد شاهين ، المترجمون) بيروت: مركز الانماء القومي.
- فريد هاليداي. (1997). الاسلام والخرافة المواجهة (المجلد ط1). مصر: مكتبة مدبولي.
- قيس ناصر راهي. (2017). نهاية التاريخ– دراسة تحليلية نقدية للمفهوم وحضوره المعاصر– (المجلد ط1). العراق: المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية – العتبة العباسية المقدسة –.
- محمد خاتمي. (1999). مطالعات في الدين والإسلام والعصر (المجلد ط3). دار الجديد.
- محمد خروبات. (د.س). الفكر الاسلامي المعاصر– دراسة في التدافع الحضاري – (المجلد ط1). مراكش: كلية الاداب.
- محمد عابد الجابري. (1997). مسالة الهوية –العروبة والاسلام والغرب (المجلد د.ط). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- محمد عمارة . (ديسمبر 1998). الحضارات العالمية تدافع أم صراع (المجلد ط1). القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.